

جواب حوالي 300 قادم جديد على أكثر من ثلاثين سؤالاً طرحها عليهم أعضاء من "المراسل" خلال الأسابيع المنصرمة. وتعد هذه أكبر مقابلة جماعية أجريت مع اللاجئين في هولندا. اليوم نعرض أجوبة على سؤال واحد.

سبعة أشياء على الهولنديين أن يعرفوها لكي يتفهموا شعور اللاجئين هنا.

ديك فيتنبرغ

خرتا ريمر سما



السؤال الرئيسي الذي تم طرحه: ماذا على الهولنديين أن يعرفوا لكي يتفهموا ما شعورك وأنت الآن في بلدهم؟

"بأني لم آت من بلد متخلف". "بأني لم آت إلى هنا للتسلية". "بأني مشتاق إلى عائلتي شوقاً جما". أعطيت هذه الأجوبة بصيغ متعددة. فأحياناً مع شرح وأحياناً مع وصف وأحياناً تمت صياغتها بجملة واحدة جزلة.

فخلال الأسابيع الماضية وضمن إطار المبادرة: "جديد في هولندا" تحدث نحو 300 قادم جديد مع أعضاء من "المراسل". جراً هذا من خلال لائحة أسئلة تتألف بجزئها الأكبر من أسئلة اختيارية.

في آخر لائحة الأسئلة آفة الذكر طرحنا عدداً من الأسئلة المفتوحة، مثلاً: ماذا على الهولنديين أن يعرفوا لكي يتفهموا ما شعورك وأنت الآن في بلدهم؟

فيما يأتي نقدم باقة من مقتطفات الردود التي قدمها اللاجئين. بعض تلك الردود كان خجولا حذرا وبعضها كان صريحا جريئا والكثير منها أتى عفويا مباشرة من القلب. لقد قسمنا تلك الردود إلى سبعة مقولات يرى القادمون الجدد أنه ينبغي للهلنديين أن يعرفوها. سوف نقوم بتقديم كل مجموعة من تلك الأجوبة باختصار.

1 إنني لم أت إلى هنا للتسلية

معظم اللاجئين الذين يشتركون في مبادرة "جديد في هولندا" أتوا من سورية. وهم من ذوي التعليم المتوسط أو العالي وينتمون إلى الطبقة الوسطى وما فوق.

تراهم وكأنهم يريدون أن يصرخوا بأعلى صوتهم بأنهم لم يأتوا إلى هنا للتسلية ويشعرون بأنهم طردوا من الجنة، فقد كانت حياتهم جيدة في سورية المرفهة ما قبل الحرب. فهم الآن قد فقدوا حياتهم تلك وهذا شعور يؤلمهم كل يوم.

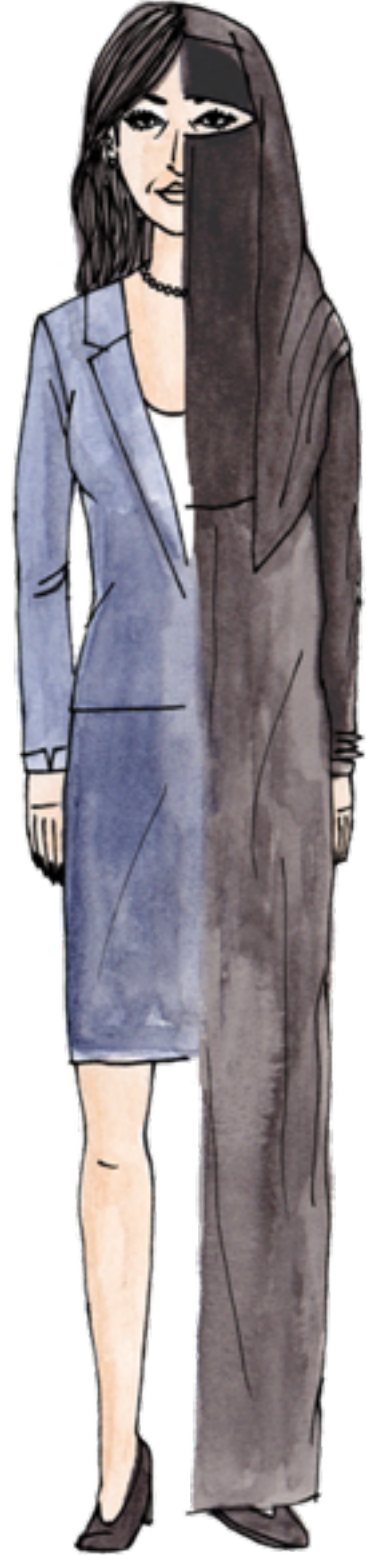
كانت حياتنا في سورية جيدة. بينما أنا هنا لا أستطيع إلا شراء الملابس المستعملة لأطفالي.

"كان عندي في سورية بيت وسيارة ووظيفة وخطيبة. وكان عندي خطط لتكوين أسرة وإنجاب أطفال. ولكن خطيبتني لقت حتفها جراء الحرب وأنا فقدت بيتي وعملي. لقد فقدت كل شيء. هل بإمكانك أن تشعر بذلك الشعور وتتفهمه إن لم تكن قد مررت به؟"

"أنا لست هنا بطوع إرادتي فالحرب في بلدي أكرهتني علي القدوم إلى أوروبا. أنا مشتاق إلى أهلي، إلى بيتي، إلى أصدقائي إلى كل حياتي في سورية. لقد اضطررت أن أترك خلفي كل ما عملت ودرست من أجل تحقيقه سنوات طويلة. نحن الآن يجب أن نبدأ من الصفر في بلد غريب ذي ثقافة مختلفة تماما ولغة مختلفة كلياً. أشعر بأن الغربة طاغية."

"نحن هنا لأن حياتنا في بلدنا أصبحت مستحيلة. فحياتنا و حياة أطفالنا أصبحت في خطر. لقد فقدنا عددا من أفراد عائلتنا. وتعتريني حتى الآن نوبات من الحزن جرّاء ذلك. في سورية لم يكن ينقصنا شيء. كانت حياتنا جيدة. بينما أنا هنا لا أستطيع إلا شراء الملابس المستعملة لأطفالي. أحيانا أشعر وكأني متسول."

2 إنني لم أت من بلد متخلف



رسم: ماريانة لوك (للمراسل).

السوريون، كما تبين من الأجوبة، هم أناس أعزاء. يعتزون ببلدهم وثقافتهم. وهم يشعرون بالإهانة عندما يجري التعامل معهم وكأنهم سكان أدغال متخلفون. وترى لسان حالهم يقول:

ألا يعلم الهولنديون أن سورية هي بلد متقدم ذا حضارة عريقة؟ وأنه لا يجوز أن تصهر كل البلدان العربية والإسلامية في بوتقة واحدة؟

"سألني أحدهم إذا كنت أعرف كيف أشغل الغسالة؟ يبدو أنهم يعتقدون هنا بأنني أغسل الغسيل باليد!"

"ربما يعتقدون أننا نسكن الخيام ونركب الجمال".

"أحيانا يتم التعامل معنا كأطفال يحتاجون إلى الرعاية. أمثلة على ذلك: التدخل في طريقة تربية أطفالنا وإدارة شؤوننا المالية. ربما من المنطقي أنهم يريدون أولاً أن يتأكدوا ويتقوا بأننا لن نوقع أنفسنا بالمشكلات. ولكن الآن حان الوقت لكي يعرفوا أننا أناس راشدون وقادرون على حمل المسؤولية".

"الهولنديون لا يعلمون أن الأبجدية ابتكرت قبل 3500 سنة في سورية وأن اليهود والمسيحيين والمسلمين كانوا يعيشون في سورية جنبا إلى جنب في الحي نفسه وكانوا يحتفلون بالأعياد معا".

"المسلمون في سورية يختلفون عن المسلمين في السعودية. فأنا أشرب المشروبات الروحية ولا أصلي أبدا بينما الآخرون يصلون خمس مرات في اليوم. في السعودية لا يجوز للمرأة أن تخرج إلى الشارع بدون نقاب ولا يسمح لها أن تقود السيارة أو تدخن. ولكن كل هذه الأمور مسموح بها للمرأة في سورية".

3 إني أتيت من ثقافة تختلف عن الثقافة الهولندية، الشيء الذي قد يؤدي إلى سوء تفاهم

اللاجئون يجسدون ثقافات مختلفة سواء أتوا من سورية أم أريتريا أم العراق. وعواقب اللجوء جسيمة. فتصور مثلا أنك فجأة حللت في بلد لا تعرف عاداته وتقاليده، حيث عاداتك وتقاليديك وأسلوبك في التعامل والتصرف لا تفهم بل الأنكى من ذلك أنه ينظر لها بارتياح لمجرد أنها تخالف الثقافة الغالبة في البلد الآخر.

"ليس هناك ضرورة أن يبذل الهولندي جهده لفهمنا. نحن من أتى إلى هنا ونحن من يجب أن يبذل جهده. يكفي أن يفهم الهولنديون أن عاداتنا وتقاليدينا وثقافتنا مختلفة عن عادات المجتمع الهولندي وتقاليده وثقافته. وهذا ما يؤدي أحيانا إلى سوء الفهم. الفتيات يرون أن تصرفي مثير للضحك عندما أفتح الباب لهن وأنتظر أن مرورهن أولاً أو عندما أخذ عنهن المعطف متصرفا تصرف رجل لبق. هن يعتقدن أنني أهينهن بتصرفي هذا. والهولنديون لا يفهمون بأنهم عندما يدعوني إلى شيء ما بأنني لا أريد أن أقول "لا" بل أقول بدل ذلك "نعم، ربما" وبعدها لا أحضر. هم يرون أن تصرفي تصرف صلف بينما أنا أرى أن رفض الدعوة تصرف غير لبق".

"ليس هناك ضرورة أن يبذل الهولندي جهده لفهمنا. نحن من أتى إلى هنا ونحن من يجب أن يبذل جهده.

"الجيران والعائلة في سورية مهمون جدا. فالناس يزورون بعضهم بعضا عفويا وبدون موعد مسبق. بينما في هولندا يتوجب عليك دائما أن تأخذ موعدا قبل الزيارة. من المؤسف أن التواصل مع الهولنديين يفتقر إلى العفوية."

"الحياة هنا هادئة هدوء موحشا. كل المحلات تُغلق في السادسة ولا ترى أحدا في الخارج. الحياة هنا فيها الوحدة والملل. الأطفال يمضون وقتهم بمشاهدة التلفاز واللعب بالكمبيوتر."

"يتوجب عليك كلاجئ أن تتعلم الكثير عن ثقافة المجتمع الهولندي. حبذا لو أن الهولنديين أيضا سألوا عن ثقافة المجتمع السوري لاستطعت أنا أيضا أن أخبرهم شيئا ما."

4 استوحش عائلتي



رسم: ماريانة لوك (للمراسل).

كثير من حوكلات اللاجئين وأبنيتهم هي أشبه بصراخ الاستغاثة. القادمون الجدد يشعرون بالشلل. ويتربع ألم فراق الأهل على رأس جملة الآلام التي تعصف بهم. فهم كانوا في بلادهم الأصلي محاطين بالأقارب والجيران والمعارف. أما هنا فالكثيرون منهم يعانون الوحدة القاتلة وعندهم قلق كبير على أحببتهم في أماكن أخرى.

"أنا مشتاق إلى زوجتي وأطفالي. وأنا قلق جدا عليهم."
"زوجتي مازالت في إثيوبية وهذا أمر يسلب مني النعاس أحيانا لأنني قلق عليها كثيرا. أنا أنتظر بفارغ الصبر أن يُسمح لها أن تأتي إلى هولندا. سأشعر كأنني ملك زماني عندما تصل إلى هولندا."
إلى هولندا.

"لو استطاعت والدتي أن تأتي إلى هنا لتحسنت حالتني أكثر. فالقلق يساورني على حالها ولهذا لا أستطيع التركيز جيدا."

"أمر عصبني أن أكون وحيدا وأبدأ حياةً جديدةً لست أدري كيف سيكون مسارها ولا أدري ما العمل الذي سأقوم به، بل لا أدري حتى فيما إذا كان سيسمح لي بالبقاء في هذا البلد. بينما أهلي ما زالوا في حلب وإخوتي في الجزائر وألمانيا. فالحياة تصعب جدا عندما يكون المستقبل غامضا ولا شيء أكيد."

"أنا أدرك أنني هنا في مأمن ولكن الخوف ما زال يعيش في رأسي. أنا قلق جدا على أهلي الذين ما زالوا في سورية."

5 لا أريد أن أعيش بمساعدة اجتماعية

عمل. ليت لدي عمل. هذا الموضوع يتكرر في كل محادثة. لماذا طريق اللاجئين إلى العمل في هولندا طويل بهذا الشكل؟ لماذا عليك أن تحصل على عدد كبير من التراخيص لكي تبدأ عملا حرا أو تفتح شركة لك؟ ألم يكن عندهم عمل؟ أوليس بحوزتهم خبرة وتجربة؟ وهكذا فجأة لم يعد لهذه الأمور قيمة البتة؟

"على الهولنديين أن يعلموا أنني لا أريد أن أعيش هنا من المساعدات الاجتماعية وأني أرغب بالعمل. وأني الآن لا أعمل لأنني لا أتقن اللغة الهولندية إتقاننا جيدا."

"أنا لم آت إلى هنا لكي أنتفع ولم آت إلى هنا سائحا. أنا أريد أن أساهم في النفع العام لهذا البلد وأن أكسب نقودي بكدي يميني وعرق جبينني."

"يجب أن يعلموا أنني لم أفقد كل شيء كنت أملكه في سورية. فأنا ما زلت أملك دماغي ومعرفتي وتجربتي وأحلامي."

"صار لي سنة وشهر هنا. أنا أقوم بعمل طوعي لدى إحدى دور الرعاية للمسنين ولدى البنك الغذائي. وفور تمكني من اللغة فسوف أتوجه للعمل."

"لم آت إلى هنا لكي أمد يدي وأتسول. أنا أتيت إلى هنا طلبا للأمان ولكي أعيد بناء حياتي من جديد."

6 أحتاج إلى الوقت للاعتياد على الحياة في هذا المجتمع

لا شك أن اللاجئين يريدون أن يعتادوا الحياة ويألفوها ولكن هذا لا يتحقق بين عشية وضحاها. هذا الأمر يحتاج لكثير من السنوات. الفرق بعد الانتقال بين ثقافة المجتمع العربي وثقافة المجتمع الهولندي هو فرق شاسع. طريقة التفكير والحياة هنا مختلفة تماما. نحن بحاجة إلى وقت لكي نألف الحياة ونعتادها."

"الدوائر الحكومية تطلب منا أن نتحول بكبسة زر من سوري لهولندي. بينما نحن بحاجة إلى مزيد من الوقت حتى نعتاد كثيرا من الأمور ونشق طريقنا في هذا المجتمع."

"نحن لدينا الكثير من التجربة في الحياة وفي العمل ونريد أن نرد الجميل لهولندا. ولكن هذا يحتاج إلى وقت ويتوجب أن نُمنح الفرصة لذلك."

اللاجئون هم ليسوا نوعا آخر من البشر. صحيح أنهم يتكلمون لغة مختلفة ويأكلون طعاما مختلفا ولديهم عادات وتقاليد مختلفة. ولكن هذا لا يجعلهم أناسا أقل شأنا، أليس كذلك؟ فورا كل حجاب وخلف كل ذقن يكمن فرد مميز.

7 إني بشر وأريد المزيد من الاتصالات مع الهولنديين.



رسم: ماريانة لوك (للمراسل).

"أنا أريد أن ينظر إلي الناس بصفتي إنسانا. فمثلما أنا أحترم كل الأديان وكل الجنسيات وكل الأعراق أريد أن أحترم لذاتي ومقدراتي."

"نحن بشر ولسنا وحوشا. فما إن تعرف فتاة أن الشاب أصله من سورية حتى تتوقف عن التواصل الفعلي معه لأنها تخاف. لا نريد أن يخاف الناس منا."

"أنا لا أريد أن يضعني الناس في خانة اللاجئين. فما إن أذكر أنني من سورية حتى يعتقد الناس بأنني أحتاج إلى المساعدة. هذا ليس صحيحا. إن احتجت إلى المساعدة فسأطلب ذلك."

"أريد أن يتكلم معي الناس كأنسان وليس كلاجئ فأنا لست مسكينا."

"نحن لسنا إرهابيين. نحن أناس عاديون لنا احتياجاتنا البشرية كالتواصل الاجتماعي وخلق توقعات مستقبلية"

"حبذا لو كان هناك مزيد من التواصل. الهولنديون في القرية ودودون فهم يحيوني. ولكن التواصل يقتصر على التحية فقط."

"إذا تجنب الهولنديون التواصل معنا فلن يعرفوا رأينا بالأمر ولن يعرفوا من نحن."

"نحن لسنا متطرفين. لا داع أن يخاف الهولنديون منا. نحن نريد التواصل مع الهولنديين. عندها بإمكاننا أن نخبرهم من نحن."

هذه المقالة هي جزء من المبادرة: جديد في هولندا. لم نكن لنتمكن من تلك المبادرة بدون المساهمة المادية التي قدمتها مؤسسة: Stichting Dioraphte.